بسم الله نبدأ

إبراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام، وصفه ربنا عز وجل بأحسن المحامد وأعظم الصفات وأكرم الأخلاق،

قال الله تعالى :

{ وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا(١٢٥) } النساء

قال العلماء: الخُلَّة هي شدة المحبة.

شدة المحبة التي أولاها الله لإبراهيم كانت نتيجة ابتلاءات كثيرة تعرض لها إبراهيم نتيجة دعوته للتوحيد في بيئة شرك وكفر ولحكمة من الله ومشيئته في خلقه وعلم الله بسرائر خلقه وصدقه

حيث تواجد خلال حياته في بيئات مختلفة بها ناس لهم صفات مختلفة وطاعة الله في كل شيء رفع قواعد الكعبة حتى في نية ذبح ابنه إسماعيل عند تكرار ذلك في رؤيا منامه

وترى الناس قد انقسموا ثلاث فئات:

فئة تعبد الأصنام والتماثيل الخشبية والحجرية.

وفئة تعبد الكواكب والنجوم والشمس والقمر.

وفئة تعبد الملوك والحكام.

كان أبوه كافرا متميزا يصنع بيديه تماثيل الآلهة ومهنة الأب تضفي عليه قداسة خاصة في قومه،

وتجعل لأسرته كلها مكانا ممتازا في المجتمع . من هذه الأسرة ذات القيمة المتميزة في القوم والمجتمع، ولد طفل قدر له أن يقف

ضد أسرته

وضد نظام مجتمعه وضد أوهام قومه

وضد ظنون الكهنة وضد العروش القائمة

وضد عبدة النجوم والكواكب

وضد كل أنواع الشرك.

﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا﴾ [مريم : ٤١] .

إبراهيم عليه الصلاة والسلام هو أبو الأنبياء،

امتدحه **الله تعالى** فقال سبحانه :

:﴿ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ

أُمَّةً

قَانِتًا لِلَّهِ

حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ

***شَاكِرًا لِأَنْعُمِهِ**

اجْتَبَاهُ

وَهَدَاهُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾ [النحل : ١٢٠ :١٢١]

﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا ﴾ [النحل : ١٢٠] .

ومعنى : كان أُمَّةً قالوا :

إنه لا يوجد فرد يحتوى على خصال الكمال ومواهب الفضل كلها ؛

لأن مواهب الفضل وخصال الكمال أكبر من أن يحتويها فرد ،

ولكن المجموع يحتويها ، فهذا شجاع وقوى البنية ،

وهذا ذكى وهذا نظره قوى ، وهذا قوى الذاكرة

، وهذه غيرها مواهب متفرقة ،

ولا يستطيع فرد أن يجمع كل هذه المواهب فكل فرد يمكن أن تكون فيه لمسة موهبة ، إلا إبراهيم الله فقد كان وحده أمة .

فكأنه أخذ المواهب والكمالات الموجودة في أُمة كاملة .

وكلمة : (صِدِّيق) من مادة صدق ، **و صدق معناها : تكلم بواقع**، وكذب معناها : تكلم بغير واقع، والذي صدق يسمى صادقاً أى يتكلم كلاما له واقع ويوافق الواقع .

و **الصِدِّيق هو الذي بلغ الغاية في تصديق ما يأتي من الحق ،**

فهو يأخذ أمر الله تعالى دون مناقشة .

وهناك فرق بين **الصِدِّيق** والنبي ،

فالصديقية هذه ذاتية عنده وإشراقية من الله تعالى فيه ،

أما **النبي الرسول فـجاءه تشريع من عند الله** ،

فقد يكون الإنسان صديقا **ولكن** ليس عنده تشريع يقوله لنفسه ،

ولكن النبي الرسول **يأتيه تشريع وهدى من الله تعالى** ،

ولذلك **حينما قال إبراهيم عليه الصلاة والسلام لأبيه** :

﴿يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنكَ شَيْئًا *

يَا أَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ

فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا﴾ [مريم : ٤٢ ، ٤٣]

لم يقل هذا الكلام بوصفه صِدِّيقًا ، ولكن قاله بوصفه نبيا ورسولا

جاء ليعدل سلوك الناس واتجاهاتهم بما أوحاه الله تعالى له .

إبراهيم ومجادلته لقومه من خلال أدلة

في خلق السماوات والأرض

﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ ءَازَرَ أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا ءَالِهَةً إِنِّىٓ أَرَىٰكَ وَقَوْمَكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٧٤﴾ وَكَذَٰلِكَ نُرِىٓ
إِبْرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلْمُوقِنِينَ ﴿٧٥﴾ فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ ٱلَّيْلُ رَءَا كَوْكَبًا ۖ قَالَ هَٰذَا رَبِّى ۖ
فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَآ أُحِبُّ ٱلْأَٰفِلِينَ ﴿٧٦﴾ فَلَمَّا رَءَا ٱلْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَٰذَا رَبِّى ۖ فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمْ يَهْدِنِى رَبِّى
لَأَكُونَنَّ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٧٧﴾ فَلَمَّا رَءَا ٱلشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَٰذَا رَبِّى هَٰذَآ أَكْبَرُ ۖ فَلَمَّآ أَفَلَتْ قَالَ يَٰقَوْمِ إِنِّى
بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٧٨﴾ إِنِّى وَجَّهْتُ وَجْهِىَ لِلَّذِى فَطَرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ حَنِيفًا ۖ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ
﴿٧٩﴾ [الأنعام ٧٤-٧٩]

قال الله سبحانه وتعالى :

﴿ وَكَذَلِكَ نُرِى إِبْرَاهِيمُ مَلَكُوت السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾ (الأنعام :٧٥)

وإذا سمعت كلمة وَكَذَلِكَ

فاعلم أن الحق يريد أن يلفتنا إلى أنه

كما اهتدى إبراهيم إلى أن عبادة الأصنام ضلال مبين،

فإن الله سيكرمه ما دام ارتبط بالإله الحق ، وسيريه أسرارا في الكون

(إني أراك وقومك في ضلال مبين)

والمعنى : ومثل ما أريناه من قبح عبادة الأصنام

نُرِيه ملكوت السماوات والأرض . وههنا دقيقة عقلية ،

وهي أن نور جلال الله تعالى لائح غير منقطع ولا زائل البتة ، والأرواح البشرية لا تصير محرومة عن تلك الأنوار

إلا لأجل حجاب ، وذلك الحجاب ليس إلا الاشتغال بغير الله تعالى ،

فإذا كان الأمر كذلك فبقدر ما يزول ذلك الحجاب يحصل هذا التجلي

فقول إبراهيم -عليه السلام

أتتخذ أصناما آلهة (إشارة إلى تقبيح الاشتغال بعبادة غير الله تعالى ؛

لأن كل ما سوى الله فهو حجاب عن الله تعالى ،

فلما زال ذلك الحجاب لا جرم تجلى له ملكوت السماوات بالتمام ،

فقوله) وكذلك نري إبراهيم ملكوت السماوات

معناه : وبعد زوال الاشتغال بغير الله

حصل له نور تجلي جلال الله تعالى ،

فكان قوله : (وكذلك) منشأ لهذه الفائدة الشريفة الروحانية.

وقد يقول قائل أن هذه الإراءة وَكَذَلِكَ نُرِى قد حصلت فيما تقدم من الزمان

فـ***كان الأولى*** أن يقال : ***وكذلك أرينا*** إبراهيم ملكوت السماوات والأرض ، ***فلم عدل عن هذه اللفظة*** إلى قوله) وَكَذَلِكَ نُرِى

وللرد على هذا السؤال يكون فيه وجوه :

الوجه الأول : **قد يكون تقدير الآية** ،

وكذلك كنا نُرِى إبراهيم ملكوت السماوات والأرض ،

فيكون هذا على سبيل **الحكاية عن الماضى** .

والمعنى أنه تعالى لما حكى عنه أنه **شافه أباه**(تحدث مع اباه) **بالكلام الخشن** تعصبا للدين الحق .

فكأنه قيل : **وكيف بلغ إبراهيم هذا المبلغ العظيم فى قوة الدين** ،

فأجيب بأنا كنا نريه ملكوت السماوات والأرض من وقت طفوليته لأجل أن يصير من الموقنين زمان بلوغه.

قول آخر :

إن معرفة الدلالة على ملك الله تعالى وملكوته وسمات عظمته وعزته غير متناهية ،

وحصول المعلومات التى لا نهاية لها دفعة واحدة فى عقول الخلق محال ،

فإذا لا طريق إلى تحصيل تلك المعارف

إلا بأن يحصل بعضها عقيب البعض لا إلى نهاية ولا إلى آخر في المستقبل ، فلهذا السبب -والله أعلم-

لم يقل : وكذلك أريناه ملكوت السماوات والأرض ،

بل قال : وَكَذَلِكَ نُرِى إبراهيم ملكوت السماوات والأرض

وقوله : **ملكوت** : من صيغ المبالغة ، فهناك **رحمة** و**رحموت** ، و**رهبة** و**رهبوت** ؟ وعندما تضاف **التاء** **تدل على المبالغة** ،

والذي يتبع الأسباب المشهودة في الكون ،

سيجد أن المُلك هو ما تحسه وتشهده أمامك ،

أما ال مَلَكُوت فهو ما وراء هذا المُلك ،**وهل يعرف ملكوته إلا هو، وهل وقف العلماء بمراصدهم ومكبراتهم وآلاتهم الحديثة إلا على ما يوازى حبة في صحراء بالنسبة إلى ملكوت الله؟وما فيه من أسرار العظمة، وبديع النظام**

،

وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا بِهِ عَالمين [الأنبياء : ٥١]

رشده :أيْ التفكير السليم الذي يؤدي لإيمانه وصَلاحَهُ وإصابَتَهُ وجْهَ الأمْرِ واهْتِداءَهُ إلى عَيْنِ الصَّوابِ

كُنَّا بِهِ عَالمين: بِأنَّهُ عَلِمَ مِن سَرِيرَتِهِ صِفاتٍ قَدْ رَضِيَها وأحْمَدَها فاسْتَأْهَلَ بِها اتِّخاذَهُ خَلِيلًا. قَوْلِهِ تَعالى ﴿اللَّهُ أعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رسالَتَهُ﴾ [الأنعام : ١٢٤]

وإبْراهِيمَ كانَ هو المَثَلَ الأوَّلَ قَبْلَ مَجِيءِ الإسْلامِ في مُقاوَمَةِ الشِّرْكِ إذْ قاوَمَ الشِّرْكَ بالحُجَّةِ وبالقُوَّةِ وبإعْلانِ التَّوْحِيدِ

فَكانَتْ قِصَّةُ إبْراهِيمَ مَعَ قَوْمِهِ شاهِدًا عَلى بُطْلانِ الشِّرْكِ الَّذِي كانَ مُماثِلًا لِحالِ المُشْرِكِينَ بِمَكَّةَ الَّذِينَ جاءَ مُحَمَّدٌ ﷺ لِقَطْعِ دابِرِهِ.

من هم قَوْمُ إبْراهِيمَ :

كانُوا مِنَ (الكَلْدانِ) وكانَ يَسْكُنُ بَلَدًا يُقالُ لَهُ (كَوْثى) بِمُثَلَّثَةٍ في آخِرِهِ بَعْدَها أَلِفٌ، وهي المُسَمّاةُ في التَّوْراةِ (أُورَ الكَلْدانِ)،

ويُقالُ: أيْضًا إنَّها (أُورْفَةُ) في (الرُّها)،

ثُمَّ سَكَنَ هو وأبُوهُ وأهْلُهُ (حارانَ) وحارانُ هي (حَرّانُ)،

وكانَتْ بَعْدُ مِن بِلادِ الكَلْدانِ كَما هو مُقْتَضى الإصْحاحِ ١٢ مِنَ التَّكْوِينِ لِقَوْلِهِ فِيهِ "اذْهَبْ مِن أرْضِكَ ومِن عَشِيرَتِكَ ومِن بَيْتِ أبِيكَ"، وماتَ أبُوهُ في حارانَ كَما في الإصْحاحِ ١٦ مِنَ التَّكْوِينِ

فَيَتَعَيَّنُ أنَّ دَعْوَةَ إبْراهِيمَ كانَتْ مِن حارانَ

لِأنَّهُ مِن حارانَ خَرَجَ إلى أرْضِ كَنْعانَ،

وقَدِ اشْتُهِرَ حَرّانَ بِأنَّهُ بَلَدُ الصّابِئَةِ

وفِيهِ هَيْكَلٌ عَظِيمٌ لِلصّابِئَةِ، وكانَ قَوْمُ إبْراهِيمَ صابِئَةً يَعْبُدُونَ الكَواكِبَ ويَجْعَلُونَ لَها صُوَرًا مُجَسَّمَةً.

وسنجد هنا إعجاز تاريخي في القرآن الكريم

من المعروف أن بين إبراهيم أبو الأنبياء وبين محمد عليه الصلاة والسلام الذي هو من ذريته مئات السنوات

والمسافة بين جنوب بابل حيث موطن الكلدانيين كانوا يعيشون و يعيش إبراهيم وبين العرب في مكة مسافة كبيرة جدا ولم يكن في تلك الصحراء الشاسعه ثورة معرفيه ليكون هناك قواميس ومعاجم بأديان البلاد الأخرى مثلما نحن نعرف الآن عن طريق المتخصصين في التاريخ والباحثين من خلال ازرار ونسأل موقع الكتروني فيجيبنا بسهولة وبالتالي عندما نجد تأملات إبراهيم في الكون لمواجهة الشرك بالله عن طريق كوكب وقمر وشمس وان تلك المخلوقات هي كانت الأساس في العبادة عند الكلدانيين ستعرف كيف ان الآيات التي ستقرأها

ليست من العادي وجودها هكذا بدون معيشة دينية في تلك البيئة والتي لم يشر اليها في سفر التكوين

وبالتالي هنا إعجاز تاريخي في تحديد المعبودات الرئيسية وقتها للكلدانيين فكيف لرسول الله محمد أن يعرف ان معبودات الكلدانيين وقت إبراهيم كانت الكواكب والشمس والقمر كما جائت قصة إبراهيم في تلك الآيات والتي استدل من خلالها على إبراهيم على وجود خالق وهناك من يقول ان إبراهيم أراد ان يدلل على بطلان العبودية لتلك المخلوقات بالطريقة التي وضحها الله في آياته :

واليكم اقتباس من كتاب (تاريخ المشرق)

مؤلفه : غاستون ماسبيرو

ثم اتحد هؤلاء الآلهة ببعضهم فتشكل شبه معاهدة إلهية على رأسها مجلس مؤلف من ثلاثة أعضاء وهم؛ آنو الذي هو الشمس،

وبعل خالق العالم، وايع رب العلوم والحياة،

وتحتهم آلهة أقل منهم فى الإبهام وهم سين أى القمر، وشمش أى الشمس، وآلهة السيارات مثل نيبور (عطارد) واشتر (الزهرة) وأذار (زحل)

أنه – إبراهيم عليه الصلاة والسلام - لما تمم الاستدلال بالكوكب والقمر والشمس

الآيات : فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَىٰ كَوْكَبًا ۖ قَالَ هَٰذَا رَبِّي ۖ فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَا أُحِبُّ الْآفِلِينَ 76 فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَٰذَا رَبِّي ۖ فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَئِنْ لَمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ 77 فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَٰذَا رَبِّي هَٰذَا أَكْبَرُ ۖ فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ78 (سورة الأنعام)

قرر إبراهيم عليه السلام مواجهة عبدة النجوم من قومه،

فأعلن عندما رأى أحد الكواكب في الليل، أن هذا الكوكب ربه.

ويبدو أن قومه اطمأنوا له، وحسبوا أنه يرفض عبادة التماثيل ويهوى عبادة الكواكب.

غير أن إبراهيم كان يدخر لقومه مفاجأة مذهلة في الصباح.

لقد أفل الكوكب الذي التحق بديانته بالأمس. وإبراهيم لا يحب الآفلين.

إنَّها عَلى وجْهِ إقامَةِ الحُجَّةِ عَلى قَوْمِهِ.

فَتَصَوَّرَ بِصُورَةِ المُوافِقِ، لِيَكُونَ أدْعى إلى القَبُولِ.

ثُمَّ تَوَسَّلَ بِصُورَةِ المُوافَقَةِ إلى إعْلامِهِمْ بِأنَّهُ لا يَجُوزُ أنْ يَكُونَ المَعْبُودُ ناقِصًا آفِلًا.

فَإنَّ المَعْبُودَ الحَقَّ: لا يَجُوزُ أنْ يَغِيبَ عَنْ عابِدِيهِ وخَلْقِهِ ويَأْفُلُ عَنْهم. فَإنَّ ذَلِكَ مُنافٍ لِرُبُوبِيَّتِهِ لَهم.

فعاد إبراهيم في الليلة الثانية يعلن لقومه أن القمر ربه.

لم يكن قومه على درجة كافية من الذكاء ليدركوا أنه يسخر منهم برفق ولطف وحب.

كيف يعبدون ربا يختفي ثم يظهر. يأفل ثم يشرق. لم يفهم قومه هذا في المرة الأولى فكرره مع القمر. لكن القمر كالزهرة كأي كوكب آخر.. يظهر ويختفي.

فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ بَازِغًا

بازِغاً : البزوغ :ابتداء الطلوع.

فقال إبراهيم عندما أفل القمر(لَئِن لَّمْ يَهْدِنِي رَبِّي لأكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ) نلاحظ هنا أنه عندما يحدث قومه

عن رفضه لألوهية القمر.. فإنه يمزق العقيدة القمرية بهدوء ولطف.

كيف يعبد الناس ربا يختفي ويأفل.

(لَئِن لَّمْ يَهْدِنِي رَبِّي) يفهمهم أن له ربا غير كل ما يعبدون.

غير أن اللفتة لا تصل إليهم.

ويعاود إبراهيم محاولته في إقامة الحجة على الفئة الأولى من قومه.. عبدة الكواكب والنجوم.

فيعلن أن الشمس ربه، لأنها أكبر من القمر. وما أن غابت الشمس، حتى أعلن براءته من عبادة النجوم والكواكب. فكلها مخلوقات تأفل.

قال بعده إني وجهت وجهي للذي فطر السماوات والأرض (الأنعام: ٧٩)

فحكم على السماوات والأرض بكونها مخلوقة

لأجل الدليل الذي ذكره في الكوكب والقمر والشمس .

وذلك الدليل لو لم يكن عاما في كل السماوات والأرض

لكان الحكم العام بناء على دليل خاص وإنه خطأ ،

فثبت أن ذلك الدليل كان عاما فكان ذكر الكوكب والقمر والشمس كالمثال لإراءة الملكوت .

فوجب أن يكون المراد من إراءة الملكوت

تعريف كيفية دلالتها بحسب تغيرها وإمكانها وحدوثها

على وجود الإله العالم القادر الحكيم

فتكون هذه الإراءة بالقلب لا بالعين.

(فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ ٱلَّيْلُ رَءَا كَوْكَبًا ۖ قَالَ هَٰذَا رَبِّى ۖ فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَآ أُحِبُّ ٱلْـَٰٔفِلِينَ ﴿٧٦﴾)

عطف على قوله :

(وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ ءَازَرَ أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا ءَالِهَةً إِنِّىٓ أَرَىٰكَ وَقَوْمَكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ)

وقوله : (وَكَذَٰلِكَ نُرِىٓ إِبْرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلْمُوقِنِينَ) جملة وقعت اعتراضا بين ((المعطوف والمعطوف عليه)) .

﴿وَكَذَٰلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ

وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ﴾

أن **اليقين** عبارة عن(**العلم المستفاد بالتأمل**) (**إذا كان مسبوقا بالشك**)
وقوله تعالى) وَلِيَكُونَ **مِنَ الْمُوقِنِينَ** كالغرض من تلك الإراءة

فيصير تقدير الآية **نري إبراهيم ملكوت السماوات والأرض**

لأجل أن يصير من الموقنين .

فلما كان اليقين هو العلم المستفاد من الدليل ،

وجب أن تكون **تلك الإراءة عبارة عن الاستدلال.**

﴿وَكَذَلِكَ نُرِى إِبْرَاهِيمُ مَلَكُوت السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾

وَالْحَقُّ أَنَّ إِبْرَاهِيمَ، عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ،
كَانَ فِي هَذَا الْمَقَامِ مُنَاظِرًا لِقَوْمِهِ،
مُبَيِّنًا لَهُمْ بُطْلَانَ مَا كَانُوا عَلَيْهِ مِنْ عِبَادَةِ الْهَيَاكِلِ وَالْأَصْنَامِ،
فَبَيَّنَ فِي الْمَقَامِ الْأَوَّلِ مَعَ أَبِيهِ خَطَأَهُمْ فِي عِبَادَةِ الْأَصْنَامِ الْأَرْضِيَّةِ،
الَّتِي هِيَ عَلَى صُورَةِ الْمَلَائِكَةِ السَّمَاوِيَّةِ، لِيَشْفَعُوا لَهُمْ إِلَى الْخَالِقِ الْعَظِيمِ الَّذِينَ هُمْ عِنْدَ أَنْفُسِهِمْ أَحْقَرُ مِنْ أَنْ يَعْبُدُوهُ، وَإِنَّمَا يَتَوَسَّلُونَ إِلَيْهِ بِعِبَادَةِ مَلَائِكَتِهِ، لِيَشْفَعُوا لَهُمْ عِنْدَهُ فِي الرِّزْقِ وَغَيْرِ ذَلِكَ مِمَّا يَحْتَاجُونَ إِلَيْهِ. وَبَيَّنَ فِي هَذَا الْمَقَامِ خَطَأَهُمْ وَضَلَالَهُمْ فِي عِبَادَةِ الْهَيَاكِلِ،
وَهِيَ الْكَوَاكِبُ السَّيَّارَةُ والأجرام السماويه

، إن قوله هذا رَبِّي قال ذلك لقومه على جهة الاستهزاء بهم.

مثلما قَالَ عن الأصنام : **بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هذا** الأنبياء: ٦٣

ويقال: أراد بهذا أن يستدرجهم فيظهر قبيح فعلهم، وخطأ مذهبهم وجهلهم.

فَبَيَّنَ أَوَّلًا أَنَّ هَذِهِ الزُّهْرَةَ لَا تَصْلُحُ لِلْإِلَهِيَّةِ؛ لِأَنَّهَا مُسَخَّرَةٌ مَقَدَّرَةٌ بِسَيْرٍ مُعَيَّنٍ، لَا تَزِيغُ عَنْهُ يَمِينًا وَلَا شِمَالًا وَلَا تَمْلِكُ لِنَفْسِهَا تَصَرُّفًا،

أي أنه عدلَ عن عبادة النجم لأنه رَآه يأفل،

فهل كانت هذه أول مرة رأى وعرف فيها إبراهيم أن النجمة تأفل؟

ألم يكن يعلم بأن النجوم تظهر في الليل ثم تأفل مراراً من قبل؟

فلا بد أنها كانت محاججة عظيمة لقومه مخبراً إياهم حين كان النجم قد ظهر بكامل بريقه؛ لنسلّم بأن هذا هو ربّنا! ثم بعد أن أَفلَ قال لهم؛ أرأيتم كيف أَفَلَ؟

فلا أحب الْآفِلِينَ!

أي لا يحب عاقلٌ يعبد إله يأفل ويفقد بريقه . وَمِثْلُ هَذِهِ لَا تَصْلُحُ لِلْإِلَهِيَّةِ.

ثُمَّ انْتَقَلَ إِلَى الْقَمَرِ. فَبَيَّنَ فِيهِ مِثْلَ مَا بَيَّنَ فِي الكوكب ثُمَّ انْتَقَلَ إِلَى الشَّمْسِ كَذَلِكَ.

فَلَمَّا انْتَفَتِ الْإِلَهِيَّةُ عَنْ هَذِهِ الْأَجْرَامِ الثَّلَاثَةِ الَّتِي هِيَ أَنْوَرُ مَا تَقَعُ عَلَيْهِ الْأَبْصَارُ، وَتَحَقَّقَ ذَلِكَ بِالدَّلِيلِ الْقَاطِعِ،

﴿قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ﴾

أَيْ: أَنَا بَرِيءٌ مِنْ عِبَادَتِهِنَّ وَمُوَالَاتِهِنَّ،

فَإِنْ كَانَتْ آلِهَةً، فَكِيدُونِي بِهَا جَمِيعًا ثُمَّ لَا تُنْظِرُونَ،

وأنهى جولته الأولى بتوجيه وجهه للذي فطر السماوات والأرض حنيفا.. ليس مشركا مثلهم.

وكان **استدلال إبراهيم عليه السلام على وجود الإله الحق بخلقه للسماوات والأرض** هداية من الله يسانده في حجته على قومه

فهي مناسبة لحال القوم الذين عرفوا الكواكب والنجوم ، فلم يستدل بشئ بعيد عن موطن المجادلة وعن فهم السامع ومعرفته . فكأنه يريد القول : إن ما تعبدونه من دون الله

ما دام قد ثبت له القصور والضعف والتأثر والخضوع للتدبير ،

فلا يستحق إذاً العبادة .

إنما يستحقها من فطر(خلق) العالم – ومنه هذه التي اتخذتموها معبودات من دون الله -ودبر أمره وهو المؤثر فيه حقيقة.

فهو المتصف بالكمال المطلق والقدرة الفاعلة .

قالَ ابْنُ قُتَيْبَةَ: سُمِّيَ القَمَرُ قَمَرًا لِبَياضِهِ؛ والأَقْمَرُ: الأَبْيَضُ؛

ولَيْلَةٌ قَمْراءُ، أيْ: مُضِيئَةٌ.

ومَعْنى جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ، أيْ سَتْرِهِ،

ولِذَلِكَ

سُمِّيَ البُسْتانُ جَنَّةً لِأنَّ الشَّجَرَ يَسْتُرُها،

والجِنُّ لِاسْتِتارِهِمْ عَنِ العُيُونِ، والجُنُونِ لِأنَّهُ يَسْتُرُ العَقْلَ،

والجَنِينَ لِأنَّهُ مَسْتُورٌ في البَطْنِ، والمِجَنِّ لِأنَّهُ يَسْتُرُ المُتَتَرِّسَ

﴿إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾

أَيْ: إِنَّمَا أَعْبُدُ خَالِقَ هَذِهِ الْأَشْيَاءِ وَمُخْتَرِعَهَا وَمُسَخِّرَهَا وَمُقَدِّرَهَا وَمُدَبِّرَهَا، الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ، وَخَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَرَبُّهُ وَمَلِيكُهُ وَإِلَهُهُ،

وَقَدْ ثَبَتَ فِي الصَّحِيحَيْنِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: "كل مولود يولد على الْفِطْرَةِ)"

(وَفِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ عَنْ عِيَاضِ بْنِ حَمَّادٍ؛ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ:

"قَالَ اللَّهُ: إِنِّي خَلَقْتُ عِبَادِي **حُنَفَاءَ**"

الحنيف (مفرد) :**المائل عن الشرك** الى التوحيد والجمع حنفاء

وَمِمَّا يُؤَيِّدُ أَنَّهُ كَانَ فِي هَذَا الْمَقَامِ مُنَاظِرًا لِقَوْمِهِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ مِنَ الشِّرْكِ لَا نَاظِرًا قَوْلُهُ تَعَالَى

﴿وَحَآجَّهُۥ قَوْمُهُۥ ۚ قَالَ أَتُحَٰٓجُّوٓنِّى فِى ٱللَّهِ وَقَدْ هَدَىٰنِ ۚ وَلَآ أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِۦٓ إِلَّآ أَن يَشَآءَ رَبِّى شَيْـًٔا ۗ وَسِعَ رَبِّى كُلَّ شَىْءٍ عِلْمًا ۗ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ﴿٨٠﴾ وَكَيْفَ أَخَافُ مَآ أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُم بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ عَلَيْكُمْ سُلْطَٰنًا ۚ فَأَىُّ ٱلْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِٱلْأَمْنِ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨١﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٨٢﴾ وَتِلْكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيْنَٰهَآ إِبْرَٰهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ ۚ نَرْفَعُ دَرَجَٰتٍ مَّن نَّشَآءُ ۗ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿٨٣﴾﴾ [الأنعام ٨٠-٨٣]

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم

وَحَاجَّهُ قَوْمُهُ ۚ

قَالَ أَتُحَاجُّونِّي فِي اللَّهِ وَقَدْ هَدَانِ ۚ

وَلَا أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ رَبِّي شَيْئًا ۗ وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا ۗ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ٨٠

وَكَيْفَ أَخَافُ مَا أَشْرَكْتُمْ

وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُمْ بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا ۚ

فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالْأَمْنِ ۖ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ٨١

الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ

أُولَٰئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ ٨٢

وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِ ۚ

نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَنْ نَشَاءُ ۗ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ٨٣

المحاجة تطلق على : محاولة الخصم في إثبات الدعوى،

وعلى رد دعوى الخصم، وهي بهذا حجة دامغة أو شبهة واهية

ها هو ذا إبراهيم قد جاء قومه بالحق،

وأورد البينات من الحجج الدامغة والأدلة القاطعة،

حيث تمشى معهم ونزل إلى مستواهم،

وفي النهاية أثبت أن الذي فطر السموات والأرض هو المعبود بحق

لا إله إلا هو.

يوضح الله تَعَالَى لنا أن قَوْمُهُ جَادَلُوه فِيمَا ذَهَبَ إِلَيْهِ مِنَ التَّوْحِيدِ،

واستطاعت حجة إبراهيم أن تظهر الحق. وبدأ صراع قومه معه.

فلم يسكت عنه عبدة النجوم والكواكب.

بدئوا جدالهم وتخويفهم له وتهديده لهم بأن تلك الأجرام السماوية ستسبب له أضرار مع الوقت .

وَنَاظَرُوهُ بشبه من القول، **ولقد قال لهم إبراهيم**

﴿قَالَ أَتُحَاجُّونِّي فِي اللَّهِ وَقَدْ هَدَانِ﴾

أَيْ: تُجَادِلُونَنِي فِي أَمْرِ اللَّهِ وَأَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ،

وَقَدْ بَصَّرَنِي وَهَدَانِي إِلَى الْحَقِّ وَأَنَا عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْهُ؟

فَكَيْفَ أَلْتَفِتُ إِلَى أَقْوَالِكُمُ الْفَاسِدَةِ وَشُبَهِكُمُ الْبَاطِلَةِ؟!

وَقَوْلُهُ : ﴿وَلا أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِ إِلا أَنْ يَشَاءَ رَبِّي شَيْئًا﴾ أَيْ: وَمِنَ الدَّلِيلِ عَلَى بُطْلَانِ قَوْلِكُمْ فِيمَا ذَهَبْتُمْ إِلَيْهِ أَنَّ هَذِهِ الْآلِهَةَ الَّتِي تَعْبُدُونَهَا لَا تُؤَثِّرُ شَيْئًا،

وَأَنَا لَا أَخَافُهَا، وَلَا أُبَالِيهَا، فَإِنْ كَانَ لَهَا صُنْعٌ، فَكِيدُونِي بِهَا [جَمِيعًا]

وَلَا تُنْظِرُونِ، بَلْ عَاجِلُونِي بِذَلِكَ* * * .

وَقَوْلُهُ : ﴿إِلا أَنْ يَشَاءَ رَبِّي شَيْئًا﴾ اسْتِثْنَاءٌ مُنْقَطِعٌ. أَيْ لَا يَضُرُّ وَلَا يَنْفَعُ إِلَّا اللَّهُ، عَزَّ وَجَلَّ

فإنها لا مشيئة لها ولا قدرة، لكن إن شاء ربي شيئا نالني وأصابني، لا آلهتكم التي لا تشاء ولا تعلم شيئا، وربي له المشيئة النافذة

﴿وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾ أَيْ: أَحَاطَ عِلْمُهُ بِجَمِيعِ الْأَشْيَاءِ، فَلَا تَخْفَى عَلَيْهِ خَافِيَةٌ .

ولما كانتْ قوة الكلامِ أنه لا يخَافُ ضرراً، استثنى مشيئةَ ربّه تعالى في أن يريده بضرّ،

و عِلْمًا: نصبٌ على التمييز، وهو مصدرٌ بمعنى الفاعل

كما تقول العرب: تَصَبَّبَ زَيْدٌ عَرَقاً، المعنى: تصبَّبَ عَرَقُ زَيْدٍ

فكذلك المعنى هنا وِسَعِ عِلْمُ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ،

﴿أَفَلا تَتَذَكَّرُونَ﴾ أَيْ: فِيمَا بَيَّنْتُه لَكُمْ فَتَعْتَبِرُونَ أَنَّ هَذِهِ الْآلِهَةَ بَاطِلَةٌ، فَتُزْجَرُوا عَنْ عِبَادَتِهَا؟

القول في تأويل قوله : ﴿وَكَيْفَ أَخَافُ مَا أَشْرَكْتُمْ وَلا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُمْ بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنزِلْ بِهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالأَمْنِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (٨١) ﴾

قال أبو جعفر: وهذا جواب إبراهيم لقومه

حين خوفوه من أربابهم أن تمسَّه، لذكره إياها بسوء في نفسه بمكروه،

فقال لهم: وكيف أخاف وأرهب ما أشركتموه في عبادتكم ربَّكم فعبدتموه من دونه،

وهو لا يضر ولا ينفع؟

وأنتم **لا تخافون الله** الذي خلقكم ورزقكم، وهو القادر على نفعكم وضركم في إشراككم في عبادتكم إياه ="ما لم ينزل به عليكم سلطانًا"، يعني:

ما لم يعطكم على إشراككم إياه في عبادته حُجّة، ولم يضع لكم عليه برهانًا،

ولم يجعل لكم به عذرًا[١]" = فأي الفريقين أحقّ بالأمن"،[٢]

يقول: **أنا أحق بالأمن من عاقبة عبادتي ربّي مخلصًا له العبادة**، حنيفًا له ديني،

بريئًا من عبادة الأوثان والأصنام، أما أنتم الذين تعبدون من دون الله أصنامًا لم يجعل الله لكم بعبادتكم إياها برهانًا ولا حجة[٣]

" = إن كنتم تعلمون"،

يقول: إن كنتم تعلمون صدق ما أقول، وحقيقة ما أحتجُّ به عليكم،

فقولوا وأخبروني: أيُّ الفريقين أحق بالأمن؟

أخذ قومه يجادلونه فيما ذهب إليه ، مع منطقية حججه وعقلانية أدلته ، لكن سخافة الشرك واتباع الهوى يأبيان (يرفضان) إلا العناد والجحود **وكانت أدلتهم ما ذهبوا إليه في سور أخرى**.

(قالوا بل وجدنا آباءنا كذلك يفعلون) الشعراء:٧٤.

إنه التقليد القديم للآباء والأجداد الذي أعمى أبصارهم وبصائرهم عن الحق مع وضوح أنواره ، وهذا ليس برهان ولا حتى دليل ، فأمر العقائد والأديان قائم على براهين قاطعة وحجج يقينية ، ولايكفيه التقليد وفعل الآخرين سواء آباء وأجداد أو غيرهم .